مجلّة الذخيرة للبحوث و الدراسات الإسلامية المجلد الثاني العدد الأول (جوان 2018 م)
قسم العلوم الإسلامية / جامعة غرداية
E-ISSN: 2588-1728 / P-ISSN: 2602-7518
http://eddakhira.univ-ghardaia.dz

مَكَانَةَ أُمَّهات المُؤْمِنِينَ رضي الله عنهن مِنْ خِلَالِ مُؤَلَّفَاتِ المَّالِكِيَّةِ - عَائِشَةَ رضي الله عنها أنموذجاً-

د. يَحْيَى غُشِّي
أستاذ مؤقت / جامعة غرداية
abooways@hotmail.com

ملخص

يهدف البحث بصفة عامة إلى إبراز منزلة زوجات النبي أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عموماً، وأمنا عائشة رضي الله عنها خصوصاً، من خلال ما ورد في النصوص الشرعية لهن من فضائل شريفة خصّهم الله تعالى بها، وقد أبان عن هذه المنزلة علماء المالكية من خلال مؤلفاتهم. وكانت أهم نتائج هذا البحث: أن أهل السنة والجماعة، يتولون أزواج النبي، ويترضون عنهن، ويعرفون لهن حقوقهن، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الدنيا وفي الآخرة، ويدافعون عنهنّ رضي الله عنهن، وعن عائشة رضي الله عنها خاصة.

الكلمات المفتاحية: منزلة ، المالكية، أمهات، المؤمنين، عائشة.

Abstract

The research generally aims at demonstrating the belief of Sunnis in the believers' mothers (the prophet Muhammed's wives) and their average of that belief .Maliki's scholars had done well in their praises ،and rejecting the insults on the Prophet's wives generally ،and of our mother Aisha .Highlighting what is in the Quran and Hadith of their virtues that are given by Allah almighty. Maliki's scholars also defended them ،especially Aisha ،Maliki scholars are commendable ،and the delivered the right thing towards the wives Allah's Messenger (Muhammed.)

.virtuous ،Aisha ،believers ،mothers ،**Key words:** demonstrating

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. **أما بعد:**

أهل السنة يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، أول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها.

وإن منزلة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وفضلهن مما لا يخفى على مسلم؛ فيكفيهن فخراً وشرفاً أنهن نِلن تلك المكانة، وارتقين ذلك المقام السامي بزواجهن من سيد ولد آدم ﷺ، وما خصّهن الله به من نزول الوحي على رسول الله ﷺ في بيوتهن رضي الله عنهن.

ولقد رفع الله ﷻ مقام أمهات المؤمنين، مقاماً سامياً عالياً؛ حيث أنزل في مدحهن والثناء عليهن، قرآناً يُتلى إلى أن تقوم الساعة.

هذا، وقد تصدى نفرٌ من الصحابة ﷺ ومن العلماء بعدهم للدفاع عنهم وبيان فضلهم ومكانتهم، والثناء عليهم عموماً، وعائشة رضي الله عنها خصوصاً، وقد كان لعلماء المالكية الأفاضل جهد مبارك ونصيب وافر في ذلك، فأحببت في هذا البحث إظهار وبيان ذلك الجهد في ذوْدهم عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عموماً وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خصوصاً، وثنائهم عليها، وبيانهم لمكانتها وفضلها رضي الله عنها.

مشكلة البحث:

نظرا لما سبق ذكره تتلخص مشكلة فيما يلي: ما هي منزلة أمهات المؤمنين عامة، وعائشة رضي الله عنهن خاصة؟

ويمكن إبراز مشكلة البحث أكثر من خلال التساؤلات الآتية:

- كيف كانت طرق علماء المالكية في كتبهم في بيان مكانة أمهات المؤمنين وفضلهن رضي الله عنهن عموماً؟

- وما جاء في مؤلفات من بيان منزلة السيدة عائشة خاصة والدفاع عنها رضي الله عنها؟

أهمية موضوع البحث:

ترجع أهمية موضوع البحث في نظري للأمور الآتية:

1/ أن لآل البيت ﷺ، خصوصاً أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، حقوقا واجبة.

2/ أن أداء هذه الحقوق واجب علينا تجاههن.

3/ ما جاء من نصوص شرعية في بيان منزلتهن.

أسباب اختيار الموضوع

هناك بعض الأسباب والتي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع، أذكر منها الآتي:

1/ وجود مادة علمية في الموضوع مبعثرة في كتب ومصادر علماء المالكية، فأحببت جمعها في محل واحد ليسهل الانتفاع بها.

2/ لتعلق الموضوع بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وهن من هن، فأردتُ المشاركة في هذا المضمار المهم بنشر فضائلهم وبيان مكانتهم.

أهداف البحث

ومنها:

1. بيان فضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عموماً، وعائشة خصوصاً رضي الله عنهن جميعاً.

2. الذوْد عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عموماً، وعائشة خصوصاً رضي الله عنهن مما نالهم من طعن الطاعنين.

منهج البحث

اتبعت بتوفيق الله تعالى وعونه في هذا البحث، المنهج الاستقرائي الاستنتاجي، والذي يجمع بين طريقي الاستقراء والاستنتاج، متّبعاً في ذلك الأمور الآتية:

1- قرأتُ كتب المالكية، فيما هو من مظان البحث، واستخرجت منها ما يخص البحث.

2- قمتُ بعد جمع المادة العلمية، بحسن توزيعها وترتيبها على حسب خطة هذا البحث.

3- دعّمتُ أقوال علماء المالكية بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف والعلماء.

خطة البحث

وقد اشتمل البحث على مقدمة ومطلبين ثم خاتمة. وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على الافتتاحية، ومشكلة البحث، وأهمية موضوعه، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطة البحث.

المطلب الأول: أقوال علماء المالكية وعباراتهم في الثناء على أُمَهَاتِ المُؤْمِنِين رضي الله عنهن عُمُوماً.

المطلب الثاني: أقوال علماء المالكية وعباراتهم في الثناء على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبيان مكانتها وفضلها.

ثم كانت الخاتمة: وأسجل فيها أهم النتائج.

فهرس: المصادر والمراجع.

المطلب الأول: أقوال علماء المالكية وعباراتهم في الثناء على أُمَهَاتِ المُؤْمِنِين رضي الله عنهن عُمُوماً

علماء المالكية يعدّون محبة أمهات المؤمنين من علامات محبته ﷺ، كما قال القاضي عياض: ((إن من علامات محبته ﷺ والتي يجب على المؤمن الأخذ بها، محبته لمن أحب النبي ﷺ، ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، فمن أحب شيئاً أحب من يحبه))[1].

وإن المتتبع لكتب علماء المالكية يجد ضمنها كمّاً هاماً من الأقوال والنقولات عنهم متضمنةً الثناء والدفاع عن أُمَهَاتِ المُؤْمِنِين رضي الله عنهن، ومن التي يظهر فيها، مدى محبتهم وثنائهم ودفاعهم عن أُمَهَاتِ المُؤْمِنِين رضي الله عنهن عُمُوماً ما يلي:

قال الإمام مالك رحمه الله، مقرراً عقوبة سابِّ أهل البيت ﷺ- وفي مقدمتهم أزواجه رضي الله عنهن- ؛ لاستخفافه بحق نبينا ﷺ:" من سبَّ آل بيت محمد ﷺ، يُضرب ضرباً وجيعاً، ويشهر ويحبس طويلاً، حتى يُظهر توبته؛ لأنه استخفاف بحق رسول الله ﷺ"[2].

وقال أبو العباس القرطبي مبيناً وصف آل البيت ﷺ، ووصية النبي ﷺ بهم، المستلزم منه الحبّ العظيم لهم ﷺ، وتوقيرهم ومودتهم، ومحذراً من الوقوع في سبهم ولعنهم:" والمراد بـ(الرجس) الذي أُذهب عن أهل البيت: هو مستخبث الخلق المذموم، والأحوال الركيكة، و(طهارتهم): عبارة عن تجنبهم ذلك، واتصافهم بالأخلاق الكريمة، والأحوال الشريفة. وقوله ﷺ: ((وأنا تارك فيكم ثقلين))؛ يعني: كتاب الله، وأهل بيته، وسَمَّاهما ثقلين؛ لأنَّ الأخذ بهما، والعمل بهما ثقيل،

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض(537/1). تحقيق عبد السلام محمد أمين، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة 1420هـ.

(2) انظر: الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، لابن حجر الهيتمي ص384، ط1 11425هـ، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان.

والعرب تقول لكل شيء خطير نفيس: ثقيل، وذلك لحرمة الشيء النَّفيس، وصعوبة روم الوصول إليه، فكأنه صلى الله عليه وسلم إنما سمَّى كتاب الله، وأهل بيته: ثقلين لنفاستهما، وعظم حرمتهما، وصعوبة القيام بحقهما. وقوله ﷺ: ((وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي- ثلاثاً -))؛ هذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي: وجوب احترام آل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، وإبرارهم، وتوقيرهم، ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها، هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ وبأنَّهم جزء منه، فإنَّهم أصوله التي نشأ منها، وفروعه التي تنشأ عنه، ومع ذلك فقابل بعضهم عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق، وجحدوا شرفهم، وفضلهم، واستباحوا سَبَّهم، ولَعْنَهم، فخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصيته، وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته، فواخجلهم إذا وقفوا بين يديه! ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه!"[1].

وقال القاضي عياض:" وسبُّ آل بيته وأزواجه وأصحابه صلى الله عليه وسلم وتنقصهم، حرام ملعون فاعله "[2].

وقال-أيضاً-:" ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره، بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه، كما حض عليه صلى الله عليه وسلم، وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم، قال بعض العلماء: معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا عرفهم بذلك، عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه"[3].

وقال الباقلاني مقرراً فضل آل بيت النبي ﷺ، والثناء عليهم ومدحهم، والتحذير من الطعن فيهم، مما يستلزم حتماً حبهم وموّدتهم ﷺ:" ونقرُّ بفضل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضي الله عنهن، وأنهن أمهات المؤمنين، كما وصفهن الله تعالى ورسوله، ونقول في الجميع خيراً، ونبدع،

(1) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي(20/50-51) بتصرفٍ يسير.، نشر دار ابن كثير- بيروت، الطبعة الأولى سنة 1417هـ.

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/207).

(3) انظر: المصدر السابق (2/47-48).

ونضلل، ونفسق من طعن فيهن أو في واحدة منهن، لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم، فمن ذكر خلاف ذلك، كان فاسقاً مخالفاً للكتاب والسنة، نعوذ بالله من ذلك"[1].

وقال أحمد بن محمد الفاسي مبيناً مكانة محبة آل البيت ﷺ، وأنها من الإيمان:" محبة أهل البيت واجبة على البشر، حرمةً وتعظيماً لسيد البشر، وقد قال ﷺ:(مَن أَحبهم فبحبي أحبهم ، ومَن أبغضهم فببغضي أبغضهم) ، فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، وعقد من عقوده، لا يتم الإيمان إلا بها، وكذلك محبة أهل بيته. وفي الحديث:(لا يؤمن أحدكم حتى يحبني، ولا يحبني حتى يحب ذوي قرابتي، أنا حرْب لمَن حاربهم. وسلْم لمَن سالمهم، وعدوٌّ لمَن عاداهم، ألا مَن آذى قرابتي فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله تعالى).

وقال الزرهوني عند شرحه لقول الصديق ﷺ:(أرقبوا محمداً في أهل بيته)، مما يستلزم منه تقرير محبته لآل البيت ﷺ، وعدم أذيتهم:" أي: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم، ولا تسيؤوا إليهم"[2].

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكُمُ فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكُمُ من عظيم الفخر أنَّكُمُ من لم يصل عليكم لا صلاةَ له[3].

(1) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني ص22، تحقيق: الكوثري، طبع: مؤسسة الخانجي 1382ه.

(2) انظر: الفجر الساطع على الصحيح الجامع للزرهوني (65/9)، تحقيق: عبد الفتاح الزنيفي، مكتبة الرشد، السعودية، الطبعة الأولى 1430ه.

(3) من شعر الإمام الشافعي. انظر: ديوانه ص92. جمع محمد سالم البواب، دار الألباب- دمشق.

المطلب الثاني: أقوال علماء المالكية وعباراتهم في الثناء على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبيان مكانتها وفضلها.

لعله قبل الدخول في مضمون هذا المبحث، قد يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: لماذا تُخَصُّ عائشة رضي الله عنها بذكر فضائلها، والتأكيد على منزلتها ومكانتها دون زوجات النبي ﷺ الأخريات؟

هذا السؤال طرحه الإمام الآجري وأجاب عنه، فقال:" فإن قال قائل: فلم صار الشيوخ يذكرون فضائل عائشة دون سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. قيل له: لما أن حسدها قوم من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرموها بما قد برأها الله تعالى منه وأنزل فيه القرآن وأكذب فيه من رماها بباطله، فسرَّ الله الكريم به رسوله ﷺ، وأقر به أعين المؤمنين، وأسخن به أعين المنافقين، عند ذلك عني العلماء بذكر فضائلها رضي الله عنه زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة"(1).

ويمكن أن يُجاب عن ذلك التساؤل الذي طرحناه بسؤالٍ آخر يكشف جوانب المؤامرة ضد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو: لماذا صارت عائشة رضي الله عنها هدفاً للمنافقين، يوجهون إليها طعونهم، ويرمونها بالأباطيل، ويتحاملون عليها هذا التحامل البغيض؟!.

والجواب عن ذلك: أن الطعن في عائشة طعنٌ في النبي ﷺ، يقول الله تعالى ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(2).

قال عبد الرحمن السعدي عند تفسيره للآية:" فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء، من أعظم مفرداته، أن الأنبياء – خصوصاً أولي العزم منهم، خصوصاً سيدهم محمد ﷺ، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق- لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رضي الله عنها بهذا الأمر قدح في النبي صلى

(1) الشريعة (5/2393). تحقيق عبد الله الدميجي، نشر دار الوطن الرياض، ط2 سنة 1420هـ.

(2) سورة النور: 26

الله عليه وسلم، وهو المقصود بهذا الإفك، من قصد المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح. فكيف وهي هي؟! صديقة النساء وأفضلهن وأعلمهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها"[1].

ولا شك، وعلى غرار ما ذُكر في المبحث الأول من دفاع علماء المالكية عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عموماً باستظهار فضائلهن رضي الله عنهن، فكذلك هنا في هذا المبحث، فقد كان لأمنا عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها مناقب كثيرة مشهورة، فهي الصديقة التي نشأت في بيت طهر وإيمان من أول يوم، فقدت وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، ومن ذلك الآتي:

1- قوله ﷺ: ((إنها ابنة أبي بكر))[2].

قال أبو العباس القرطبي، مبيناً فضلها رضي الله عنها: " وقوله ﷺ: ((إنها ابنة أبي بكر))؛ تنبيه على أصلها الكريم الذي نشأت عنه، واكتسبت الجزالة والبلاغة، والفضيلة منه، وطيب الفروع بطيب عروقها. وغذاؤها من عروقها. كما قيل:

طِيبُ الفُرُوع من الأصُولِ وَلَمْ يُرَ فرعٌ يَطِيبُ وأصْلُهُ الزَّقُّومُ

ففيه مدح عائشة وأبيها رضي الله عنهما"[3].

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص563. نشر مؤسّسة الرسالة، بيروت. لبنان، الطبعة الثانية سنة 1417هـ، وكذا الطبعة الأولى المنقحة سنة 1419هـ.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: ك/ فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (4/1891) ح1442.

(3) المفهم (6/327).

وقال-أيضاً- في سياق ترجمتها:" وكانت فاضلة، عالمة، كاملة، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض، كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامَّة"[1].

وقال أبو عبد الله القرطبي في سياق ذكره الأقوال في تأويل إتمام عثمان وعائشة ﷺ للصلاة: "وقد اختلف الناس في تأويل إتمام عثمان وعائشة رضي الله عنهم على أقوال: وأضعف من هذا قول من قال: إنها حيث أتمت لم تكن في سفر جائز ؛ وهذا باطل قطعاً، فإنها كانت أخوف لله وأتقى من أن تخرج في سفر لا يرضاه. وهذا التأويل عليها من أكاذيب المبتدعة وتشنيعاتهم؛ سبحانك هذا بهتان عظيم! وإنما خرجت رضي الله عنها مجتهدة محتسبة، تريد أن تطفئ نار الفتنة، إذْ هي أحق أن يُستحيا منها، فخرجت الأمور عن الضبط، وأقل درجاتها أن تكون ممن قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر » "[2].

2- ومن مناقبها رضي الله عنها-أيضاً- أن النبي ﷺ بدأ بتخييرها عند نزول آية التخيير، وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن؛ لعلمه ﷺ أن أبويها لا يأمرانها بفراقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فاستن بها بقية أزواجه رضي الله عنهن. فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي، حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ ﴾ إلى﴿ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[3]، قالت:

(1) انظر: المصدر السابق (320/6).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (568/3). نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1966م.

(3) سورة الأحزاب: 28-29

فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت"[1].

قال القرطبي:" وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة أن تشاور أبويها؛ لأنه كان يحبها، وكان يخاف أن يحملها فرط الشباب على أن تختار فراقه، ويعلم من أبويها أنهما لا يشيران عليها بفراقه"[2].

3- ومن مناقبها رضي الله عنها ما رواه الشيخان أن النبي ﷺ قال:" فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام"[3].

قال ابن بطال في معنى الحديث:" الثريد أزكى الطعام بركة، وهو طعام العرب، وقد شهد له النبي ﷺ بالفضل على سائر الطعام، وكفى بذلك تفضيلاً له وشرفًا، ويكون المعنى فضل عائشة على نساء عالمها خاصةً، ويشهد لهذا أنه فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام"[4].

وقال ابن العربي مفضلاً لها عن سائر النساء:" والذي عندي أن عائشة مقدمةٌ عليهم؛ لتقديم أبيها في الدنيا والآخرة، وذلك بفضول كثيرة، منها: أنها أمها، ويُضاف إلى الأمومة أنها مع أبيها في منزل، ويُضاف إلى ذلك سلام جبريل عليها، ومجالسته للنبي ﷺ وهو في لحافه، وكونها أعلم النساء بالدين، ومن كثير من رجال الصحابة،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: ك/ التفسير، باب قوله: چ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ چ (6/116) ح 4786، ومسلم في صحيحه: ك/ الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (2/1103) ح1475.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (14/163).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: ك/ التفسير، باب قول الله چ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ چ (4/158) ح3411، ومسلم في صحيحه: ك/ الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (4/1895) ح2446.

(4) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (9/485، 491). تحقيق ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرشد الرياض، الطبعة 1 سنة 1420هـ.

وأنها أحب النساء إلى رسول، وصرّح بذلك، فقال ﷺ: (فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام)"[1]. وبهذا يتبين فضلها ومنزلتها رضي الله عنها وأرضاها.

وقال-أيضاً- مدافعاً عنها رضي الله عنها:" فإن قيل: خرجت يوم الجمل من بيتها، وسافرت إلى غير دار هجرتها، ولو كانت ممتثلة لقول الله لها ولصويحباتها ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ لكان ذلك أصون لها وأولى بها، قلنا: فلله الحمد، حين لم تجدوا مني إلا أحسن عملاً، وأكرم مسعى، ما شهد به القرآن والسنة ورآه خيار الأمة، أن عثمان لما قُتل، واشتجر الناس اشتجار أطباق الرأس، وماجت بهم الفتنة، وتبارزوا للقتال، وتعلقوا بحبال النجاة، وأولها القرآن، ومنه كان الاضطراب، وبه وقع الخلاف، وهكذا أُنزل: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾[2] ، فلو وجدوا المصطفى من مكروه أعظم به، فحبس أو مضى رسول الله ﷺ لكان مظهراً لهذا الدين، كما ظهر أعظم منه، ولو كان باقياً لما جرى شيء منه، وقد كان الله استأثر به، فتعلقوا بأكرم أسبابه ، وأرفع زوجاته الصديقة بنت الصديق، وسألوها السعي في هذه المصلحة؛ لتؤلف بين المختلفين، فتطفئ نار الفتنة، وتؤلف شتات الكلمة، وتتلوا عليهم الآيات العامة في ذلك، والأخبار هذه مشهورة في نفسها، مشهورة في هذه القصة ذكرها، فخرجت مجتهدة في أمرها، معتقدة رضاء الله في سعيها، فجرى ما جرى، وعادت إلى مكانها، معظماً من شأنها ما عظم الله، مصونة عن عملٍ لا يكون لوجه الله ولا يرضاه، وكل ما رُوي غير هذا، وهم وأباطيل و زخارف من القول من غرور الشيطان"[3].

وقال ابن عاشور عند الكلام على قوله تعالى:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾مدافعاً عنها-أيضاً-:" وقد أشكل على الناس خروج عائشة إلى البصرة في الفتنة التي تدعى:

(1) انظر: عارضة الأحوذي لشرح الترمذي (13/203-203). نشر: دار الكتب العلمية بيروت.

(2) سورة البقرة: ٢٦.

(3) انظر: عارضة الأحوذي لشرح الترمذي (13/207-210).

وقعة الجمل، والذي عليه المحققون، أن ذلك كان منها عن اجتهاد، فإنها رأت أن في خروجها إلى البصرة مصلحة للمسلمين؛ لتسعى بين فريقي الفتنة بالصلح، فإن الناس تعلقوا بها، وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة، ورجوا بركتها أن تخرج فتصلح بين الفريقين، وظنوا أن الناس يستحيون منها، فتأولت لخروجها مصلحة، تفيد إطلاق القرار المأمور به في قوله تعالى قوله تعالى:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ يكافئ الخروج للحج. وأخذت بقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾[1]، ورأت أن الأمر بالإصلاح يشملها وأمثالها، ممن يرجون سماع الكلمة، فكان ذلك منها عن اجتهاد. وقد أشار عليها جمع من الصحابة بذلك، وخرجوا معها، وهذا من مواقع اجتهاد الصحابة، التي يجب علينا حملها على أحسن المخارج، ونظن بها أحسن المذاهب، كقولنا في تقاتلهم في صفين، وكاد أن يصلح الأمر، ولكن أفسده دعاة الفتنة، ولم تشعر عائشة إلا والمقاتلة قد جرت بين فريقين من الصحابة يوم الجمل، ولا ينبغي تقلد كلام المؤرخين على علاته، فإن فيهم من أهل الأهواء، ومن تلقفوا الغث والسمين، وما يذكر عنها رضي الله عنها: أنها كانت إذا قرأت هذه الآية تبكي؛ حتى يبتل خمارها، فلا ثقة بصحة سنده، ولو صح لكان محمله أنها أسفت لتلك الحوادث التي ألجأتها إلى الاجتهاد في تأويل الآية"[2].

كيف، وقد أنزل الله في حق عائشة رضي الله عنها خصوصاً، آياتٍ تُعلِن طهارتها، وعفّتها عما نسب إليها. وما أجمل ما ذكره أبو عبد الله القحطاني مادحاً لها[3]؛ حيث قال رحمه الله تعالى:

وأبو المطهرة التي تنزيهها قد جاءنا في النور والفرقان

(1) سورة الحجرات: 09

(2) انظر: التحرير والتنوير (22/11-12). : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م.

(3) القصيدة النونية ص22 للقحطاني، المحقق: عبد العزيز بن محمد الجربوع، الناشر: دار الذكرى، الطبعة الأولى.

أكرم بعائشة الرضى من حرة بكر مطهرة الإزار حصان
هي زوج خير الأنبياء وبكره وعروسه من جملة النسوان
هي عرسه هي أنسه هي إلفه هي حبه صدقاً بلا أدهان
أوليس والدها يصافي بعلها وهما بروح الله مؤتلفان

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وتوفيقه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوات، وعلى آله وصحبه، وإن من أهمَّ نتائج هذا البحث:

1- أن الله ﷻ تكفل بحفظ هذا الدين، فكلما افترى المفترون، هيأ الله من يقمعهم، ويبيّن للمسلمين بطلان قولهم.

2- أن المسلمين المتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله يتولون أزواج النبي ﷺ، ويترضون عنهن، ويعرفون لهن حقوقهن، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة.

3- أن من سبَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقذفها بما رماها به أهل الإفك، هو على خطرٍ عظيم؛ لأنه مكذب بما أخبر به الله تعالى من براءتها، وكذلك الحال في باقي أمهات المؤمنين رضي الله عنهن؛ لما في ذلك من العار والغضاضة لرسول الله ﷺ.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى 1426ه.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت544ه)، تحقيق يحيى إسماعيل، نشر دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى سنة 1419ه.
- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: 745ه)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، طبعة: 1420 ه.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي (المتوفى: 1224ه)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.
- التحرير والتنوير. لمحمد الطاهر بن عاشور، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى السبتي (ت544ه)، تحقيق عبد القادر الصّحراوي، طبع وزارة الأوقاف بالمغرب، الطبعة الثانية سنة 1403ه.
- التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741ه)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى 1416 ه.
- تفسير القرآن العزيز، المؤلف: محمد بن عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399ه)، المحقق: حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – القاهرة، الطبعة الأولى 1423ه.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السّعدي (ت 1376ه)، نشر مؤسّسة الرسالة، بيروت. لبنان، الطبعة الثانية سنة 1417ه، وكذا الطبعة الأولى المنقحة سنة 1419ه.

- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت671ه)، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1966م.
- شرح مختصر خليل للخرشي، المؤلف: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي (المتوفى: 1101ه)، دار الفكر للطباعة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت360ه)، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، نشر دار الوطن الرياض، الطبعة الثانية سنة 1420ه.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت544ه)، تحقيق عبد السلام محمد أمين، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة 1420ه.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم الحراني، تحقيق: محمد عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري، ط الأولى: 1417ه دار ابن حزم، بيروت– لبنان.
- صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين المحدث أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.
- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي المالكي (ت468ه، نشر دار الكتب العلمية بيروت، دون رقم الطبعة ولا سنة الطبع.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852ه)، تصحيح عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب، نشر مكتبة دار الفيحاء دمشق.
- القصيدة النونية للقحطاني، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي (المتوفى: 378ه)، المحقق: عبد العزيز بن محمد الجربوع، الناشر: دار الذكرى، الطبعة الأولى.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد الثعلبي (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1422 ه.
- الكفاية في علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ)، تحقيق أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، نشر المكتبة العلمية المدينة المنورة.
- المجمع المؤسس للمعجم المفرس لابن حجر، المحقق: يوسف المرعشلي، دار المعرفة.
- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني (ت728هـ)، طبعة المجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، سنة 1416هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: 542هـ)
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، بإشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، نشر دار المعرفة بيروت، دون معلومات الطبع.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى سنة 1418هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت656هـ)، تحقيق جماعة من المحققين، نشر دار ابن كثير- بيروت، الطبعة الأولى سنة 1417هـ.
- منهاج السنة النبوية لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت728هـ)، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى سنة 1406هـ.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب لأحمد بن المقرّي التلمساني (ت1041هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، نشر دار صادر بيروت، الطبعة الثانية سنة 1997م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، اعتناء: رائد صبري، بيت الأفكار الدولية.